ونجاحها الاقتصادي وابتعادها عن اصولها الريفية الفقيرة او ماضيها الفلسطيني.ان امين بذلك،انما ينمذج البرجوازي الصغير ذا الاصول الريفية الفقيرة الذي ظهر على مسرح المجتمع في الخمسينات ثم سيطر في الستينات والسبعينات .

بالاضافة الى امين هناك « فارس » ، وهو رسام ، وهناك « ركزان » وهي سليلة اسرة اقطاعية ، و « دانية » (المرأة الشهوانية) ، « ورشيد » (زوجها) و « وعمر » ، وكلهم في مستوى مادي وثقافي واحد : ميسورون ويعرفون جيدا روبنز ورابلييه وفرجيل ودانتي ، ويقضون الوقت في نقاشات ذكية حول موضوع الجسد والروح ومشكلة الضجر في المدينة ، ولم تكن المشكلة في الخمسينات ملحة بالنسبة للمدينة العربية آنذاك .

ان هذا النوع من الشخصيات الغنية المثقفة والشهوانية في حالة المرأة ، وهذه الحوارات والمناقشات ، ستتحكم ، فيما بعد ، في روايات جبرا ابراهيم جبرا ، ولن ينسج شخصيات واحداث رواياته الا منها كما سنرى ذلك بالتفصيل في رواياته القادمة .

تنمذج شخصية امين ، وباقي الشخصيات الى حد ما ، في هذه الرواية ، ذلك الريفي المتبرجز حديثا في الخمسينات، ذاك الذي كان صعوده آنذاك جزءا من ، وتعبيرا عن ، الصعود الاجتماعي العام لطبقة جديدة تريد أن تزيح « الاقطاع » القديم عن طريقها ، ولهذا فهي ، في احراقها الماضي الموروث وعدم التفاتها الى الخلف ، انما كانت تحرق نمط الحياة القديمة الذي يمثله هذا الماضي وهذا الموروث الذي يمثله قصر آل ياسر وتاريخهم . ان الدعوة الى الحياة الجديدة في هذا السياق التاريخي والاجتماعي دعوة محكومة ومحددة بالظروف التاريخية آنذاك (الخمسينات) . فالحياة الجديدة كانت صعود وسيطرة البرجوازية الصغيرة التي ينمذجها مثقف ريفي كأمين . ولم يكن مجرد تواز شكلي أن تقرن ظهور الشعر العربي الحديث بموضوع هذه الرواية : فالشعر الحديث كان ، مثل « صراخ في ليل طويل » ، تعبيرا عن تحرك اجتماعي عام ، والظاهرة الاجتماعية ــ الادبية تتمظهر احيانا عبر اكثر من حركة سياسية واكثر من جنس ادبي . لقد كان جوهر التحرك الاجتماعي في الخمسينات وما بعدها ظهور وصعود ثم سيطرة البرجوازية الصغيرة مكان « الاقطاع الشرقي » الذي خلخله دخول الغرب (الرأسمالية) حياة المجتمعات الشرقية والعربية . لم يكن عبثا او مصادفة ان كل شخصيات جبرا ابراهيم جبرا في هذه الرواية ــ وفي الروايات القادمة ــ تحمل مفهومات وثقافة الغرب ، والغرب الرأسمالي تحديدا ، في وجه مفهومات الاقطاع والتخلف معبرة عن لحظة الراهن الاجتماعي ــ التاريخي .

إن النقاط المثارة هنا ستجد تفصيلها ، بل ومصداقيتها ، عبر عودتها والتأكيد عليها في روايات الكاتب التالية .

٢ ــ صيادون في شارع ضيق

مثل سابقتها « صراخ في ليل طويل » ، تدور رواية جبرا ابراهيم جبرا الثانية « صيادون في شارع ضيق » ، حول موضوع التخلف او المجتمع العربي المتخلف ، وان كانت الشخصيات مثقفة جدا ، لكن اذا كانت هذه الرواية الاولى مكرسة للهجوم على التخلف من وجهة نظر ريفي متبرجز ومثقف فرد ، فان هذه الرواية الثانية تقدم بيئة بغدادية في اواخر الاربعينات ، مؤلفة